المفهوم الاسرائيلي للحكم الذاتي

حمد سعيد الموعد

باحث فلسطيني

في خلال حملته الانتخابية، في مطلع حزيران (يونيو) ١٩٩٢، تحدّث زعيم حزب العمل الاسرائيلي، اسحق رابين، عن سياسة منافسه زعيم الليكود، اسحق شامير، وموقفه من المفاوضات الدائرة بين الوفود العربية واسرائيل، فهاجم «عقليته التسويفية والمخاتلة»، وقال ان كل ما يجرى منذ مؤتمر مدريد تمثيلية، لأن «الليكود يريد تجنّب مواجهة المشكلة الفلسطينية التي هي جوهر النزاع العربي ـ الاسرائيلي»[١]. وفي هذا اشارة واضحة الى ما نقلته صحيفة «معاريف» الاسرائيلية على لسان شامير ومفهومه للحكم الذاتي عندما قال: «كنت أنوي اطالة المفاوضات مع الفلسطينيين عشرة أعوام، يجرى في خلالها تكثيف الاستيطان في المناطق، ويصل عدد المستوطنين اليهود الى نصف المليون... لم أكن أؤمن بأن هنالك غالبية في اسرائيل تؤيد قيام اسرائيل الكبرى لكن كان يمكن بلوغ ذلك مع الوقت. وبدون ذلك، فانه ليس هناك ما يمنع قيام دولة فلسطينية»[٢]. وسرعان ما تكشف للجميع خلال الاسبوعين الأول والثاني من الجولة السابعة في مفاوضات الحكم الذاتي، ان التمثيلية الاسرائيلية استمرت بعد نجاح حزب العمل في انتخابات الكنيست الثالث عشر، وتسلّم اسحق رابين رئاسة الحكومة؛ اذ استبدلت «عقلية شامير التسويفية والمخاتلة»، «بعقلية رابين التسويفية والمخاتلة».

وبالفعل، ما ان بدأت جلسات المفاوضات في الجولة السابعة في واشنطن في ٢٤/٨/١٩٩٢، حتى صدمت الوفود العربية، جميعاً، وخاصة الوفد الفلسطيني، لأن الوفد الاسرائيلي أعاد المفاوضات الى نقطة الصفر. فالمشروع الاسرائيلي للحكم الذاتي، والذي جاء في ثلاثين صفحة، المقدم الى الجانب الفلسطيني في بداية الجولة السابعة للمفاوضات، كان متخلفاً عمّا ورد في اتفاقيتي كامب ديفيد، وهو يستهدف بالدرجة الاولى «ضرب علاقة الانسان الفلسطيني بأرضه، ويجرد الفلسطينيين من حقين أساسيين يتيحان تنمية الاراضي المحتلة وحرية امتلاك المياه»[٣].

ففي المفهوم الاسرائيلي، يصبح الحكم الذاتي شديد الغموض لأنه لا يعدو كونه تجميلاً للاحتلال، فيما تحافظ اسرائيل على سيطرتها الكاملة عسكرياً واقتصادياً، وبالحد الأدنى من التكلفة. ومن الطبيعي ان تضع اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية كل الشروط التي تتكفل بتقييد، أو بالاحرى، بانتقاص حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره[٤]. فالحكم الذاتي، من وجهة نظر اسرائيل، هو الحل الوظيفي الوسط بين خيارات الضم واستمرار الوضع الراهن، أي تكريس الاحتلال أو تخلي اسرائيل عن السيطرة على الضفة الفلسطينية وقطاع غزة لصالح أشكال الفدرالية أو الكونفدرالية. وتميز الدراسات الاسرائيلية بين ثلاثة أنواع أو نماذج للحكم الذاتي[٥]: